@ 458 @ الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) ^ . بل تكون حقيرا عند ا ومحتقرا عند الخلق ، مبغوضا ممقوتا ، قد اكتسبت شر الأخلاق ، واكتسيت بأرذلها ، من غير إدراك لبعض ما تروم . ^ (كل ذلك) ^ المذكور الذي نهى ا عنه فيما تقدم من قوله : ^ (ولا تجعل مع ا إلها آخر) ^ والنهي عن عقوق الوالدين وما عطف على ذلك ^ (كان سيئه عند ربك مكروها) ^ أي : كل ذلك يسوء العاملين ويضرهم ، وا تعالى يكرهه ويأباه . ^ (ذلك) ^ الذي بيناه ووضحناه من هذه الأحكام الجليلة ، ^ (مما أوحى إليك ربك من الحكمة) ^ فإن الحكمة ، الأمر بمحاسن الأعمال ، ومكارم الأخلاق ، والنهي عن أراذل الأخلاق ، وأسوإ الأعمال . وهذه الأعمال المذكورة في هذه الآيات ، من الحكمة العالية ، التي أوحاها رب العالمين لسيد المرسلين ، في أشرف الكتب ، ليأمر بها أفضل الأمم ، فهي من الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا . ثم ختمها بالنهي عن عبادة غير ا ، كما افتتحها بذلك فقال : ^ (ولا تجعل مع ا إلها آخر فتلقى في جهنم) ^ أي : خالدا مخلدا ، فإنه من يشرك با ، فقد حرم ا عليه الجنة ومأواه النار . ^ (ملوما مدحورا) ^ أي : قد لحقتك اللائمة ، واللعنة ، والذم من ا ، وملائكته ، والناس أجمعين . ^ (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما) ^ وهذا إنكار شديد ، على من زعم أن ا اتخذ من خلقه بنات فقال : ^ (أفأصفاكم ربكم بالبنين) ^ أي : اختار لكم الصفوة والنصيب الكامل ، واتخذ لنفسه من الملائكة إناثا ، حيث زعموا أن الملائكة بنات ا . ^ (إنكم لتقولون قولا عظيما) ^ فيه أعظم الجرأة على ا ، حيث نسبتم له الولد المتضمن لحاجته ، واستغناء بعض المخلوقات عنه ، وحكمتم له بأردأ القسمين ، وهو الإناث ، وهو الذي خلقكم ، واصطفاكم بالذكور ، فتعالى ا عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ^ (ولقد صرفنا في ه ذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا * قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا * سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا * تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ول كن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) ^ يخبر تعالى ، أنه صرف لعباده ، في هذا القرآن ، أي نوع الأحكام ، ووضحها ، وأكثر من الأدلة والبراهين ، على ما دعا إليه ، ووعظ وذكر ، لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلكوه ، وما يضرهم فيدعوه . ولكن أبى أكثر الناس ، إلا نفورا عن آيات ا ، لبغضهم للحق ، ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل ، حتى تعصبوا لباطلهم ، ولم يعيروا آيات ا لهم سمعا ، ولا ألقوا لها بالا . ومن أعظم ما صرف فيه الآيات والأدلة ، التوحيد الذي هو أصل الأصول . فأمر به ،

ونهى عن ضده ، وأقام عليه من الحجج العقلية والنقلية ، شيئا كثيرا ، بحيث أن من أصغى إلى بعضها ، لا تدع في قلبه ، شكا ولا ريبا . ومن الأدلة على ذلك ، هذا الدليل العقلي الذي ذكره هنا فقال : ^ (قل) ^ للمشركين الذين يجعلون مع ا إلها آخر : ^ (لو كان معه آلهة كما يقولون) ^ أي : على موجب زعمهم وافترائهم ^ (إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) ^ أي : لاتخذوا سبيلا إلى ا بعبادته ، والإنابة إليه والتقرب وابتغاء الوسيلة . فكيف يجعل العبد الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه ، إلها مع ا ؟ هل هذا إلا من أظلم الظلم وأسفه السفه ؟ فعلى هذا المعنى ، تكون هذه الآية كقوله تعالى : ^ (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) ^ . وكقوله تعالى : ^ (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون ا فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) ^ . ويحتمل أن المعنى في قوله : ^ (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) ^ أي : وسعوا في مغالبة ا تعالى . فإما أن يعلوا عليه فيكون من علا وقهر ، هو الرب الإله . فأما وقد علموا أنهم يقرون أن آلهتهم ، التي يدعون من دون ا مقهورة مغلوبة ، ليس لها من الأمر شيء ، فلم اتخذوها وهي بهذه الحال ؟ فيكون هذا كقوله تعالى : ^ (ما اتخذ ا من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) ^ . ^ (سبحانه وتعالى) ^ أي : تقدس وتنزه وعلت أوصافه ^ (عما يقولون) ^ من الشرك به ، واتخاذ الأنداد معه ^ (علوا كبيرا) ^ فعلا قدره ، وعظم ، وجلت كبرياؤه ، التي لا تقادر أن